مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies
مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 11، العدد 43 (صيف 2000)، ص 118
www.palestine-studies.org

شهود عيان يروون
أحداث مجزرة الطنطورة*

إعداد: مصطفى الولي**

في غضون عمل بادر إليه عدد من الباحثين الفلسطينيين بهدف تدوين الرواية الشفوية لمرحلة اللجوء (تحديداً الفترة الواقعة بين تشرين الثاني/نوفمبر 1947 وهدنة سنة 1949)، صدر بحث في إسرائيل، أعده تيودور كاتس، عن مجزرة الطنطورة، الأمر الذي اقتضى ضرورة تركيز الجهد على جمع الرواية الشفوية أولاً من أبناء قرية الطنطورة الذين يعيشون، في أغلبيتهم العظمى، في سورية، في ثلاثة تجمعات أساسية هي: مخيم اليرموك في مدينة دمشق، وحي القابون في دمشق، ومخيم الرمل في مدينة اللاذقية.

في المقابلات التي أجريتها مع العشرات من أبناء الطنطورة الموجودين في سورية، لم أعتمد أسلوب الأسئلة كي لا أتدخل، وإن عن غير قصد، في توجيه الراوي. لذا، اكتفيت بافتتاح الحديث للإدلاء بالشهادة، بـ: ماذا تذكر عن تلك الليلة، وما الذي ترغب في قوله؟

كان من الطبيعي أن تأتي الرواية (الشهادات) ممزوجة بمشاعر الأسى نتيجة الألم المخزون في الذاكرة، وهو ما أبعد عدداً من الشهادات عن السرد المتسلسل، إلاّ إن ذلك لم يمس صدقية الأقوال غير المرتبة في عرض الأحداث.

أمّا الشهادات المنشورة هنا، فهي منتقاة من مجموعة أوسع، لا بد من أن يأتي الوقت الملائم لنشرها لاحقاً ضمن الرواية الشاملة لذاكرة الجيل الذي عاش تجربة النكبة سنة 1948.

ما هو منشور هنا من شهادات، لم يجر التدخل فيه من جانبي إلاّ بما اقتضته الضرورة من استبعاد التكرار إذا لم يؤثر ذلك في أهمية الشهادة، كما أن التدخل في تعديل العامية الشفوية لتصبح ملائمة للكتابة، كان أمراً لا بد منه.

ولعل دفق المشاعر في لحظات الإدلاء بالشهادات جعل الحديث لا يتوقف عند ليلة المجزرة فحسب؛ إذ انطلق الرواة نحو تذكر الأيام اللاحقة (الأسر والطرد والتهجير)، وهو في اعتقادي يكمل جوانب أُخرى من الصورة المأساوية لرحلة الطرد

---

* قرية في قضاء حيفا، هاجمتها قوات الهاغاناه ليل 22 – 23 أيار 1948.

** كاتب فلسطيني مقيم بدمشق.

والاقتلاع من الأرض، كما يفيد بتوضيح حقيقة سلوك "الدولة" الإسرائيلية بعد انتهاء ما تسميه الرواية الرسمية: الحرب من أجل "الاستقلال".

وللرواة من أبناء الطنطورة طريقتهم في الحديث عن الهجوم والمجزرة، بما يقدم لكل محلل يقظ ومدقق ومتجرد ما يساعد على فهم المعاني الحقيقية لما جرى، وخصوصاً تلك الارتكابات البشعة التي قامت بها إسرائيل منذ لحظة ولادتها.

قال لي أحد الرواة، قبل شروعه في الحديث: "بدنا نحكي اللي إلنا واللي علينا"، ولا شك في عمق الدلالات لهذا القول. وأزعم أن الذين أدلوا بشهاداتهم عملوا بروحية تلك العبارة.

محمد أبو هنا
مواليد 1936، مقيم بمخيم اليرموك

استيقظنا في منتصف الليل على صوت رصاص غزير. بدأت النساء يصرخن ويندفعن خارج بيوتهن مع أطفالهن، ويتجمعن في أماكن عدة.

أثناء القتال كنت أتفلَّت لأرى ما يجري. سمعت عن بعد صوت نساء يصرخن: عمَّك جريح عمَّك جريح.. بدنا سبيرتو. شاهدت جرح عمي في كتفه والدم ينفرج منه كالنبع. لم أكن أعرف معنى الخوف لصغر سني. حملت زجاجة إلى المستوصف القريب داخل القرية. كانت فيه ممرضة فلسطينية (مسيحية) اسمها ذهبية. أعطتني الكحول. ركضت به، عالجوه وأخذته النساء يخبئنه من الجنود الإسرائيليين.

اختبأ عمي في مخزن الحبوب داخل البيت، جاء الجنود فشاهدوا آثار الدماء، ثم سألوا جدي عن عمي فأنكر كل شيء. راحوا يترددون على البيت بين فترة وأُخرى. طلب عمي سيجارة بإلحاح، فأعطته جدتي. وفجأة عاد الجنود وكأنهم على يقين من وجود الجريح في الداخل، وحسمت رائحة التبغ الأمر، أمسكوه وساقوه إلى التجمع. وحاولوا الإساءة إلى جدي فوصفوه بالكذاب. ردَّ عليهم بأنه كأب عليه أن يحمي ابنه بكل السبل.

بقي عمي على قيد الحياة بتدخل من مختار مستعمرة زخرون يعقوف الذي كان على صلة ودية مع جدي الذي كان هو أيضاً مختار الطنطورة فترة من الزمن.

في التاسعة صباحاً هدأ صوت الرصاص، وقام المحتلون بتجميع الناس قرب البحر. النساء والأطفال في جهة، والرجال في جهة أُخرى، لكن الجميع على مرأى.

فتشوا الرجال وأبقوا أيديهم مرفوعة فوق رؤوسهم. وكانت الزوارق البحرية أمامنا وعلى ظهرها أسلحة مختلفة. وتكفلت مجندات بتفتيش النساء فصادرن منهم الأموال والحلي ووضعنها في خوذة عسكرية ولم يرجعنها إلى أصحابها ساعة طردونا إلى

الفريديس.

كان الجنود يأخذون من التجمع مجموعات من الرجال، وكنت أسمع صوت زخات رصاص بعد مغادرة كل مجموعة.

في الثانية عشرة ظهراً اقتادونا مشياً على الأقدام إلى بستان يقع في الجهة الشرقية من البلدة. هناك شاهدت أكواماً من الجثث تنقلها عربة خيل ويجرها رجال من الطنطورة، ثم تُلقى في حفرة كبيرة. أحضروا سيارات شحن، ووضعوا فيها النساء والأطفال، أخذونا إلى الفريديس. على الطريق، عند سكة القطار شاهدت عدداً من الجثث المتناثرة.

لم نعرف مصير الرجال، لم يأخذوهم معنا إلى الفريديس. ■

محمد إبراهيم أبو عمرو
مواليد 1935، مقيم بمخيم اليرموك

تجمعنا في وسط البلدة، في بيت الحاج محمود اليحيى. لمّا سقطت القرية، ودخل الجنود إليها، اقتادونا إلى البحر. في الطريق، قرب بيت بدران في الشارع الذي يتجه إلى الجامع، شاهدت سبع جثث من شباب القرية.

صرخت امرأة (عزه إبراهيم الهندي) من هول المنظر، فأطلقوا عليها الرصاص وماتت. وهي أم الشهيد عبد الوهاب حسن عبد العال، الذي قتل في تفجيرات نفذها اليهود في حيفا أواخر عام 1947 (تعرف هذه التفجيرات بمجزرة حسبة الخضار في حيفا).

عندما حملونا في سيارات شحن، كانت جثث القتلى تحت أنظارنا مكوَّمة مثل أشجار مقطّعة. شاهدتْ امرأة جثة ابن أخيها بين القتلى، وهو محمد عوض أبو إدريس، ولم تكن تعرف حين صرخت ألماً عليه أن أولادها الثلاثة قتلوا أيضاً. وهذا ما عرفناه فيما بعد وهم أحمد سليمان السلبود وخليل ومصطفى. وعندما علمت أصيبت باختلال عقلي. لكنها بقيت تقول إنهم أحياء ويعيشون في مصر، وسوف يعودون. ماتت وهي تنتظرهم. ■

سليم زيدان عمر الصرفندي
مواليد 1932، مقيم بمخيم اليرموك

داهم الجنود البيت الذي تجمعنا فيه، أطلقوا رصاصاً غزيراً داخل الغرف. أخرجونا واقتادونا إلى البحر.

قبل الظهر جاء ضابط يهودي، أظن أن اسمه شمشون، معه ورقة فيها أسماء لرجال من الطنطورة. أخذ ينادي عليهم ويطالب بسلاح الحاضرين منهم. أخذوا عدداً من الرجال لإحضار السلاح وكان بعضهم لا يعود.

نادوا على اسم أخي، عبد الرحمن زيدان الصرفندي. أخذوا أبي بدلاً عنه ليحضر السلاح من البيت، فأنكر معرفته بشأن السلاح. وأخي، ربَّطوه بجاكيتته، وسمعهم يتحدثون بالعبرية عن نية في قتله. جاء يهودي من مستعمرة زخرون يعقوف له أرض محاذية لأرض أبي في الطنطورة، وبينهما علاقة جوار حسنة، وعلى ما أذكر إن اسمه كشران، وحسم الموقف بتدخله ليبقى أبي على قيد الحياة.

أخذوا من التجمع أربعة رجال لتجميع الجثث من شوارع القرية، ولم نعرف مصيرهم في حينها. بعد الظهر انطلقوا بنا من عند المقبرة، واتجهوا بنا إلى مستعمرة زخرون يعقوف. ولم نعرف شيئاً عن مصير النساء والأطفال. وضعونا في مركز كان للبوليس الإنكليزي سابقاً، كل 30 رجلاً في غرفة صغيرة دون ماء أو طعام، وتعرضنا للضرب والشتائم. وشاهدنا جندياً يهوي ببندقيته على رأس ديب الدسوقي فانفجر الدم من رأسه.

نقلونا بعد أيام إلى قرية عربية هاجر منها أهلها (أم خالد) محاطة بأسلاك شائكة. ومنها إلى قرية جليل قرب يافا، وهناك جهزوا معسكر اعتقال كبيراً ومراقَباً. كان طعامنا، كل 24 ساعة، 150 غراماً من الخبز مع حفنة عدس أو حمص أو جلبانة. وصاروا يستخدموننا في العمل، الصغار (15 – 17 عاماً) في تنظيف وخدمة المكاتب، والكبار في الأعمال الشاقة: تحميل وتفريغ مواد البناء؛ حفر استحكامات عسكرية؛ دفن جثث الشهداء من الجيوش العربية. ونحن الذين حفرنا لدفن شهداء الجيش العراقي في قرية قاقون بعد سقوطها بيد الجيش الإسرائيلي.

نقلوني فيما بعد إلى معتقل الصرفند مع عدد من أبناء قريتي، بعد أن نجح أكثر من 25 أسيراً من أبناء الطنطورة في الفرار من معتقل جليل. بقيت هناك سنة كاملة. في الصرفند، كلَّف قائد المعتقل أحد الأسرى العرب أن يسألنا عن الأموال التي خبأها أهل الطنطورة، ووعد أن يتقاسم معنا ما نعثر عليه من مبالغ إن وجدناها. كنت أعرف أن أمي خبأت، في مكانين داخل بيتنا، مبلغاً من المال وبعض قطع الذهب، واعتقدت بأنني إن ذهبت إلى الطنطورة سأراها بعد السقوط، وإن وجدنا المبالغ فلا بأس باستعادة نصفها.

صعدنا في سيارة قائد المعسكر، وكان معه ضابط آخر بثلاث شرائط. شاهدت البيوت مهدمة. ولمّا نزلنا من السيارة، فوجئت بقائد المعسكر يخرج مسدساً صدئاً

دون ذخيرة ويناوله لي، ويقول: إذا سأل جنود آخرون عن وجودك هنا قُلْ إنك كنت قد خبأت هذا المسدس، وأحضرناك لتدلنا عليه وتسلمه لنا. وحذرني من القول لأي شخص غيره، عن سبب قدومه معي إلى البلدة (البحث عن المال).

لم نجد في المخبأين شيئاً، ورجعنا إلى معتقل الصرفند، وبقيت هناك حتى أواخر سنة 1949. ■

آمنة المصري (أم مصطفى)
مواليد 1925، مقيمة بدمشق، حي القابون
تمام المصري (أم سليمان)
مواليد 1927، مقيمة بدمشق، حي القابون
(رواية مشتركة)

من يوم سقوط قرية كفر لام بعد سقوط حيفا، كنا نتحسب لهجوم على الطنطورة. ليلة الهجوم، كان رجال البلدة موزعين على مواقع للحراسة، ببنادق قليلة. سمعت صوت الرصاص، توقعنا أنه من ناحية "الباب"، جنوبي شرقي البلدة. أيقظت زوجي، ظنَّ أنني واهمة، إلى أن ازداد صوت الرصاص والانفجارات من كل الجهات. من تلة أم راشد في الجنوب، ومن منطقة البرج على الشاطئ الشمالي، ويوجد فيها آثار رومانية. أخرجنا الأولاد واتجهنا إلى بيت أهلي، وجدناهم في حالة ذعر وخوف. هدأ الرصاص قليلاً فظن الناس أن المعركة قد انتهت، لكن تبيّن جهلنا بما يجري. حتى أن أبو خالد عبد العال اعتقد بأن صمت الرصاص يؤشر إلى صد الهجوم اليهودي، فصرخ: انتصرنا، دمرناهم. ما لبث أن اشتد القصف والرصاص، وصرنا نشاهد الناس يهرعون من عدة جهات ويقولون: "شفنا اليهود داخل البلد." في الصباح ونحن في طريقنا إلى التجمع عند البحر، قتل اليهود فضل أبو هنا عند المراح وهو أعزل، فقط لأنه يرتدي بدلة كاكية اللون. أخذوا أمام أعيينا أول مجموعة من الرجال، وحصدهم بالرصاص إلاّ واحداً قالوا له انظر واذهب لتروي ما شاهدت.

في التفتيش على الذهب والأموال، فكوا حفاضات أطفالنا. بنت صغيرة تأخرت في فك إحدى حلق أذنيها، فنزعتها المجندة اليهودية بقوة وجرحت أذن الصغيرة.

نقلونا إلى أرض الدساقنة (أملاك آل الدسوقي). مشينا حفاة فوق الحجارة والأشواك. من هنا ركبنا بسيارات شحن وذهبنا إلى الفريديس. ونحن هناك، بعث جدي (الحاج محمود أبو هنا) ابنته كي تحضر له جهاز الكفن من عين غزال أو إجزم، فلم تجد كفناً. ولمّا عادت كان جدي قد فارق الحياة، بعد أن صلى ركعتين وقرأ آيات من

القرآن، وكان يدعو ربه أن لا يموت إلاّ في فلسطين. وتوفي بعد الدعاء. قمنا بفرط لحاف النوم، أخذنا قماشه وصنعنا منه كفناً ودفناه هناك.

في الفريديس دهست سيارة عسكرية يهودية امرأة من الطنطورة (آمنة محمد أبو عمر) هي زوجة فالح الصعبي؛ كانت تجمع سنابل القمح من الحقول وتحملها على رأسها لتطعم الأولاد. واقتربت امرأة أُخرى منها لتسحبها عن الطريق، فأسرعت سيارة أُخرى لتدهس الثانية، لكنها أخطأتها، فداست مرة ثانية على جسد الأولى.

صدقني، شعرت يومها أننا وصلنا الآخرة، قامت القيامة فلن يبقى أحد منا حياً في هذه الدنيا.

(أم سليمان) في الفريديس قضينا شهراً وُلد خلاله أول طفل طنطوري بعد المجزرة، وهو من عائلة أبو صفية التي فقدت العدد الأكبر من رجالها يوم سقوط الطنطورة. ■

فريد طه سلام
مواليد 1915، مقيم بدمشق، حي القابون

بعد أن سمعنا عن سقوط حيفا وعدد من القرى الأُخرى، جمعنا أموالاً لشراء السلاح. لم يكن معنا سوى القليل من البنادق، وقطعة سلاح رشاش (برن) وأكثر البنادق إنكليزية، أعطيت للمسرحين من البوليس البريطاني، وبعض بنادق للصيد.

كنا نوزع مناوبات ليلية للحراسة. الرجال أكثر من البنادق. مناطق الحراسة في القرية هي: القرقون؛ تلة أم راشد؛ الخزان (حاووز الماء)؛ المدرسة؛ الباب؛ البرج؛ الورشة. وفي كل نقطة عدد قليل من الرجال حسب عدد السلاح. تدريبنا لم يتعدَّ الفك والتركيب، ومَنْ يجيد ذلك أبو زيد خاله. الذين أبلوا بلاء حسناً هم الذين تدربوا في صفوف البوليس البريطاني.

بدأ الهجوم فردّتْ الحراسات إلى أن نفدت الذخائر. ومن قلة الخبرة سرعان ما أُهدرت الذخيرة ونفدت. تراجع عدد إلى داخل البلدة، وغادر آخرون إلى خارجها. وبعض الرجال لم يغادر موقعه فبقي يقاتل حتى استشهد أو أُلقي عليه القبض وقتل بالحراب ونكل به.

أخرجوا من التجمع عدة مجموعات لا نعرف مصيرها. آخر مجموعة كان عددها حوالي 40 رجلاً.

من واحدة من تلك المجموعات عاد طه محمود القاسم (أبو صفية) وروى لنا أن يهودياً سأل: مَنْ يعرف عبري؟ فأجابه عن نفسه، قال له: أنظر كيف ستموتون، وأطلقوا عليهم الرصاص وهم مصلوبون على جدار.

حضر عند البحر يعقوب (مختار زخرون يعقوف). قال له والدي (طه سلام): يا أبو يوسف، بلد وسقطت، سلاح وأخذتموه، شو في بعد أكثر من هيك؟ قال يعقوب: يا طه بدنا نحاول نصالحكم مه الهاغاناه حتى نستطيع وقف القتل.

في الأسر، ونحن في معسكر الصرفند، كان هناك شاب يهودي (مجند) عمره حوالي 17 سنة، سالته أنت من وين؟ ليش أتيت إلى فلسطين؟ أجابني أنه من روسيا، وتابع: مَنْ يسمع أن له دولة ولا يأتي إليها؟ فتذكرت قصة روتشيلد (الابن) الذي زار الطنطورة في العشرينات، ولم يجد فيها سوى العرب، فوبخ اليهود من أبناء مستعمرة زخرون يعقوف لأنهم لم ينجحوا في شراء أراضيها. حتى موسى (يهودي ملقب بموسى الطنطوري) الذي جاء إلى قريتنا وعاش فيها وعمل مزارعاً وبنى بيتاً، شعر بغربته عن أهل القرية، ولم يتمكن من الاستمرار، فرحل. ■

موسى عبد الفتاح الخطيب
مواليد 1924، مقيم بمخيم اليرموك

ليلة 23 أيار/مايو 1948، دُعيت من قائد الحرس (محمد الهندي) كي أقوم بواجب الحراسة في دبة البئر بين الخزان والمدرسة. وجدت هناك عيسى الفخري عبد الكريم يحمل بندقية صيد، وعبد الجبار طه الشيخ محمود ببندقية ألمانية معها 50 طلقة، وحسن فيصل أبو هنا دون سلاح، وابن مختار قيسارية ومعه بندقية صيد.

بندقيتي إنكليزية ومعي 75 طلقة. في الساعة 12 ليلاً، سلمت زميلي الحراسة، وقبل أن أغفو، نبهني عبد الجبار أن أصغي السمع وإذ أصوات كلام بالعبري قادمة من السهل.

تركنا موقعنا واتجهنا إلى السهل لنتأكد. قبل أن نكمل سمعنا رشقات رصاص من جهة الخزان، ومن موقع القرقون. عدنا إلى موقعنا وبدأنا إطلاق النار على السهل الشرقي.

بعد دقائق تراجعوا، اعتقدنا أنهم انسحبوا. لكننا شاهدنا سيارات تنزل جنوداً مسلحين قرب المدرسة. واشتد الهجوم على موقع المدرسة. اعتقدت أنه سقط، وهو يبعد عنا عشرات الأمتار. ثم شاهدت سيارات عسكرية تدخل من الباب (مدخل السيارات الوحيد إلى الطنطورة، يتفرع من خط حيفا – يافا).

شعرت أنا وعبد الجبار أن المقاومة قد انتهت. بعد قليل، عند الفجر تقريباً، حضر عبد الرحمن زيدان ومعه 300 طلقة للسلاح الذي بحوزتي. قررت أن نوقف إطلاق الرصاص لنستطلع ما جرى. سمعت فيصل أبو هنا يقول لعيسى الحمدان: أخ أنا

تصاوبت، انقتلت! وجاء إلينا سليمان المصري وأحمد المصري وقالا أنهما سينزلان إلى البلد ليتعرفا على ما جرى فيها، حذّرتهما، ذهبا ولم يعودا، تبيّن لي لاحقاً استشهادهما.

نفدت ذخيرة عبد الجبار، وبقي معه 5 طلقات فقط، أصبحنا ثلاثة ببارودة واحدة. شاهدنا سيارة مصفحة تسلك طريقاً ترابياً، وتوقفتْ قريباً منا، واعتقدنا أنهم اكتشفوا موقعنا. ونزل منها اثنان فبادرناهما بالرصاص وأدريناهما. ثم جاءت مصفحة ثانية وعليها راية بيضاء، فاستنتجت ظنهم بحصول خطأ فيما بينهم أدى إلى إطلاق النار على المصفحة الأولى.

حاول جنودها رفع جثتي القتيلين منهم، ولم يفلحوا تحت تأثير بندقيتنا الوحيدة، فسقط آخرون منهم. عندها بدأ قصف جنوني على مربضنا، وغادرت المصفحة الطريق الترابي إلى أرض مفلوحة. كان أحد رجال البلدة دافناً جسده في القش تحت التراب، خوفاً على حياته، وداست دواليب المصفحة على قدمه وهو عاجز عن الصراخ خوفاً على حياته.

اقترحت على عبد الجبار تبديل الموقع. عدنا إلى التلة الأولى، وحضر إلى هناك عيسى الحمدان. وإذ بالجنود يتجهون إلى موقعنا. تعطلت بندقية عيسى الحمدان، فطلب بندقيتي، وأعطاني بندقيته لأصلحها فلم أفلح. بدأ هو يتبادل النار معهم من موقع حصين.

صرنا ننسحب، أنا وعبد الجبار، نحو الحاووز. وصلنا إلى مغارة وجدنا فيها عطية عشماوي ومحمد شحادة. في التاسعة صباحاً، بقي الاثنان في المغارة. واتجهنا نحن الأربعة (أنا وعيسى وعبد الرحمن وعبد الجبار) إلى موقع الحاووز وتفصل بيننا أمتار قليلة. فجأة سمعت بالعبري مَنْ يخاطب عبد الجبار: إرفع يديك. مباشرة رميت نفسي ومعي عبد الرحمن في مقطع صخري، وبقي عيسى يقاوم، ونحن بلا حراك، لكننا في مخبأ عن أنظارهم.

نفدت ذخيرة عيسى، وصلوا إليه يصرخون ارفع يديك. سألوه عن البندقية الثانية وصاحبها، فأنكر وجود آخرين معه. ثم سألوه: هل كنت تخدم في البوليس البريطاني، قال: نعم. أمروه بخلع ثيابه ثم اقتادوه إلى مكان مجهول.

تمركز على ظهر المقلع الذي نختبئ به عدد من الجنود (خمسة أمتار تفصل بيننا). كتمنا أنفاسنا. عند الغروب تركوا الصخرة التي يتمركزون عليها ونحن نختبئ في بطنها، وابتعدوا نحو الحاووز. عندها قررنا، أنا وعبد الرحمن، أن ننسحب إلى خارج حدود البلدة، والأقرب لنا هو قرية الفريديس، هناك عم عبد الرحمن (حسن الحاج).

هناك عرفنا مصير البلدة، قضينا ثلاثة أيام، في النهار نصعد إلى الكرمل، وفي الليل نعود إلى الفريديس. بعدها ذهبنا إلى عين غزال ووجدنا فيها عدداً من الذين انسحبوا من الطنطورة: علي طه ونمر الجمال ومحمود عبد الرحيم ويحيى الهندي وكامل الدسوقي.■

عادل محمد العموري
مواليد 1931، مقيم بمخيم اليرموك

قبل الهجوم على الطنطورة في ليلة 23 أيار/مايو 1948، جرت حوادث أذكر منها القطار المحمل بالمصفحات والمؤن والذخائر، المتجه إلى مستعمرات الخضيرة ورمات غان ونتانيا.

في ذات الفترة (مطلع سنة 1948)، حاول مسلحون يهود قتل عدد من الفلاحين في أراضي القرية، وحدثت مشكلة قتل فيها من الطنطورة أسعد أبو مديرس.

يوم الهجوم، ليلاً، كنت في بيت لنا وسط القرية، حاولت الخروج إلى الناحية الجنوبية، لكن زخات الرصاص منعتني من الحركة. شاهدت الناس يتدافعون. والشيوخ والأطفال يدعون إلى الله بالنصر. لم أر الخوف في وجوه الناس، بل كانوا تائهين لا يعرفون ماذا يفعلون ولا يعلمون ما يجري بالضبط.

في مواجهات سابقة، كانت قرى حيفا تهب للنجدة. يوم 23 أيار/مايو حمدنا الله أن أهالي القرى المجاورة لم يتحركوا لنجدتنا، لأن الكمائن والمواقع الإسرائيلية كانت ستفتك بهم قبل أن يصلوا إلينا. وعلمت فيما بعد أن أهالي جبع وعين غزال حاولوا نجدتنا، لكنهم فشلوا لأسباب عسكرية.

في تجمعنا عند البحر، سأل اليهود: هل معكم سوريون؟ هل جاءتكم مساعدات سورية من البحر؟

في الأسر، حين نقلونا من معتقل أم خالد إلى معتقل جليل، دخل الصليب الأحمر وسجل أسماءنا. وأطلعنا على قائمة بحقوق أسرى الحرب. استخدمنا الجنود في قطف الثمار من الأراضي العربية لمصلحة متعهد يهودي، مقابل بطاقة نصرف فيها من كنتين (دكان) في المعتقل بعض الأغذية حتى نشبع، فالوجبة المخصصة لكل أسير لا تكفي. ذات يوم حضرت إلى المعسكر باصات مليئة بالرجال، أنزلوهم قربنا ليشربوا من صنبور ماء وحيد، ومن شدة عطشهم تدافعوا، فأصلاهم الجنود بنيران الرصاص، واختلط الماء بالدم، وسقط أمامي عشرات منهم، علما فيما بعد أنهم من أبناء مدينتي اللد والرملة.

في طريق العودة من الأســر، بين وادي الملح وجنين (40 كلم)، كنـت أرى على جانبي الطريق جثثاً لقتلى من العرب. ■

محمود نمر عبد المعطي
مواليد 1930، مقيم بمخيم اليرموك

كنت أتناوب الحراسة مع والدي. ليلة الهجوم كانت نوبة والدي في موقع القرقون، جنوبي القرية.

خرجنا صباحاً من البيت، وكان الناس يتراكضون ويجمعون. التقيت قرب المراح مع محمد شحادة. أعطاني بارودة، وقال لي إن موقع الورشة لم يسقط. فقررت الالتحاق بالمدافعين عنه.

في الطريق أوقفني عمي، وقال لي الورشة سقطت، وأخذ السلاح مني. مشيت معه إلى بيته فخبأ البندقية بين البندورة داخل حاكورة البيت. ونحن نغادر فاجأنا الجنود وجهاً لوجه، فتشونا، أخذوا مني الهوية وسبعة جنيهات فلسطينية.

أخذوا منا جماعة لدفن الشهداء، منهم مصطفى السلبود. علمت لاحقاً أنهم قتلوه وقبله قُتل له اثنان من إخوته، فصـــاروا ثلاثة. نجا، من عمليات القتل الجماعي، طه محمود أبو صفية (أبو عصام) لكن شعر رأسه قد شاب من حينه (عمره 16 سنة). وفي الطريق إلى المقبرة شاهدت جثثاً لم أتعرف عليها.

شـيخ من عائلة اليحيى، يدعى أبو رشـيد، أصـيب بجرح خطير، فاتكأ على كومة قصـب، وتوفي وهو جالس كأنه حي والضـحكة على وجهه. التقط له واحد من اليهود صورة.

أخذونا إلى المعتقل، من أم خالد إلى جليل، اسـتغلوا جهدنا في جني المحاصـيل. واكتشـفنا أن أفراداً من المجموعات التي تذهب إلى العمل لم يعودوا. ونحن في أم خالد أمرونا بحفر حفرة كبيرة تحت الحراسـة، سـمعناهم يتحدثون بالعبرية، فهمنا نيتهم بقتلنا. ذهبنا وأخبرْنا المسؤول عن المعتقل، فبدَّل الحراسة المكلفة بنا.

أخذونا إلى قرية قاقون. كانت الرائحة فيها بشـعة من كثرة الجثث (90 جندياً وضـابطاً عراقياً قتلوا دفاعاً عنها). بدأ الحفر لدفنهم، فما لبثت أن تسـاقطت علينا قنابل الجيش العراقي من موقع على بعد 5 كلم. قُتل جندي يهودي، وأُصـبت بشـظايا، ظننت أنها بسيطة. نبهني عيسى عبد العال أنني مصاب بيدي وصدري وكتفي، ثم غبت عن الوعي.

أسـعفوني مع جرحاهم، وجبسـوا ذراعي. دخل الصـليب الأحمر علينا في المعتقل،

فسأل عن ذراعي، أجابه المسؤول عن المعتقل، ويدعى بونيشتن، بأنني أصبت في المعركة وأنا أقاتل ضدهم في الطنطورة. لكن الصليب الأحمر طلب رداً من عربي يعرف الإنكليزية فأجابهم فؤاد اليحيى بقصتي الحقيقية.

أبلغني الصليب الأحمر بقرب الإفراج عني. أمّا فؤاد اليحيى فلقد عوقب لأنه كشف كذبة بونيشتن للصليب الأحمر.

بانتظار الإفراج عني، الذي لم أصدقه، صار شباب الطنطورة يعدُّون رسائل لذويهم. وحرتُ أين سأخبئها، فثيابي ممزقة وجيب قميصي لا يتسع لذلك العدد الكبير منها. دلَّني أحد الأسرى إلى ذراعي، خلف الجبس، وكانت فكرة ناجحة.

سلمني الصليب الأحمر إلى الجيش العراقي. حققوا معي! كم عراقياً قُتل في قاقون؟ كم دبابة عند اليهود؟ كم رشاشاً وكم مدفعاً؟

خفت أن يكتشفوا الرسائل، وليس أسهل، في ذلك الوقت، من إلصاق تهمة خائن وجاسوس. أوصلت الرسائل بالسر، ولكل امرأة على حدة. وبقيت في الضفة الغربية حتى الانتقال إلى سورية، عام 1949. ■

محمد قاسم دقناش
مواليد 1924، مقيم بمخيم اليرموك

ليلة الهجوم على القرية كنت في الموقع الجنوبي (تلة أم راشد)، سلاحي خرطوش صيد. كان أبي في الموقع ذاته. لمّا سمعنا رشقات الرصاص أخذ أبي سلاحي وأرسلني إلى البيت، خوفاً عليّ من مشاكل داخلية (كنت في مشكلة عائلية في القرية).

أحد المفتشين على الحراسات (سليم دسوقي، أبو طلال) وخلال تحركه بين المواقع، اشتبك مع المهاجمين. عند موقع المدرسة شاهدت مجموعة من رجال البلدة، معهم رشاش برن. قالوا لي إن إبراهيم الشورى (أبو خليل) أصيب، حمل البرن لطفي دسوقي، سأل من يطلع إلى الجبل؟ لم أقدم نفسي، كنت خائفاً ومذهولاً.

في الحارة الجنوبية شاهدت طفلاً جريحاً (توفيق حسن الهندي). أخذوه إلى أحد البيوت ليسعفوه.

اشتد الهجوم، واحتمي عدد من الرجال (محمود أبو الندى ويوسف فايز أيوب وابن عم لي) في بيت محمد أبو هنا. أصيب ابن عمي برصاصة، أطل والدي برأسه فأصيب بطلقة قاتلة.

في التجمع عند البحر، أخذ الجنود اليهود الشيخ رشدي الجيوشي (أبو تقي) ومعه بنت من عرب جسر الزرقاء لينادیا على مجموعة مستعصية في أحد المواقع ويطلبا من

أفرادها الاستسلام، ووعدوا بأن لا يلحقوا بهم الأذى. عندما رجع الشيخ أخبرنا أنهم قتلوا اثنين بعد استسلامهما وطعنوهما بالحراب. وكان متألماً ونادماً على مرور الخدعة عليه.

أخذونا إلى معتقل أم خالد. هناك هرب اثنان من رجال القرية من طاقة الغرفة التي احتجزونا فيها، وهما محمد الملاح وعارف طه سلام.

إثرها نقلونا إلى جليل. قررت الهرب بأي شكل، غافلنا الحرس في برج المراقبة وهربنا خمسة (محمد عشماوي وإبراهيم الشورى ومحمد الجمال وفوزي الطنجي وأنا) واختبأنا في بيارة قريبة، سمعنا اليهود وهم يعدُّون الأسرى ويقولون خمسة غياب. في الليل مشينا إلى قرية جلجولية، ومنها إلى بيار عدس، وتابعنا حتى وصلنا إلى مواقع الجيش العراقي.

أخذونا إلى قليقيلية، ثم حولونا إلى نابلس حتى يتأكدوا من هوياتنا، فلم يكن معنا بطاقات شخصية، وطلبوا منا كفيلاً يعرفنا من نابلس. اقترحت على الضابط أن أخرج وأحضر كفيلاً. ضحك وقال: "عصفور كفل زرزور، والاثنين طايرين." إلى أن عرف بحالتنا أمير يتردد إلى الموقع، اسمه سيف أبو كشك فكفلنا رسمياً وخرجنا. ■

رحمة صالح أبو سالم
(الملقبة بنت الحنونة، زوجة يوسف البيرومي)
مواليد الطنطورة

قالت لي أمي مع الفجر: إذهبي وافتحي للدجاجات. وكنا نستعد للحصاد. سمعت الرصاص، لم أتوقع أنها حرب، قن الدجاج في الجهة الخلفية من البيت، شاهدت اليهود قادمين، عدت إلى أمي، وذهبنا من البيت للتجمع مع الناس.

في الطريق شاهدت امرأة من أهالي الفريديس، كانت يومها في الطنطورة، وقتل زوجها داخل القرية وهو أعزل. وضع اليهود الرمل في فمه وركلوه بأقدامهم، صارت هي تقذف عليهم الرمل والحجارة وتشتمهم وتبكي (اسمها غزالة العبد). ■

يوسف مصطفى البيرومي
مواليد 1928، مقيم بمخيم اليرموك

بعد سقوط القرية جمعوا من بقي حياً. أخذوا الرجال إلى المعتقل. استقر اعتقالي مؤخراً في الصرفند. كان معنا عدد من أبناء مدينة يافا. وفي إحدى المرات، ونحن نذهب إلى العمل، عدنا، ولم يرجع معنا شاب أسير من يافا، اسمه خليل الترتير، وعرفنا

أنهم قتلوه بحجة محاولة فرار. بعد هذه الحادثة أضربنا عن الخروج من المعتقل، خوفاً على حياتنا. وطالبنا بحضور الصليب الأحمر.

ونحن في جليل، حضر خيالة يهود على أحصنتهم، وصاروا يلتقطون لنا صوراً. سألت واحداً منهم: متى سترجعوننا إلى الطنطورة؟ ردَّ عليّ: "لمّا عينك بتصير تشوف أذنك بترجع إلى الطنطورة وبتشوفها." ■

علي مصطفى البيرومي
مواليد 1938، مقيم بمخيم اليرموك

خفت حين سمعت الرصاص الغزير. حاول أخي فجراً أن يأخذنا إلى داخل القرية، قال لي أبي: "هنا ولدنا وهنا نموت"، لأنه ظنَّ أننا سنرحل عن البلد بإرادتنا. في الطريق شاهدت جثث أولاد عيسى الحمدان ملقاة على الأرض.

قبل الهجوم بأسبوع تقريباً، حضرت زوارق كبيرة لنقل الناس من القرية عبر البحر. رفض رجال البلدة ذلك، وأطلق بعضهم الرصاص باتجاهها، فانسحبت إلى عمق البحر. عرفنا بعد وقت أنها جاءت من لبنان بعلم الهيئة العربية العليا، وبهدف إنقاذنا حرصاً على أرواحنا بعد أن سقطت حيفا في نيسان/أبريل، وأُعلنت دولة إسرائيل في أيار/مايو. ■

يحيى أبو ماضي
مواليد 1931، مقيم بمخيم اليرموك

سقطت حيفا وعدد من قرها وأعلن اليهود دولة إسرائيل، فبتنا بانتظار هجوم قريب ومؤكد على الطنطورة.

السلاح مع رجال القرية قليل جداً، ولا خبرة عسكرية لهم، ويفتقدون إلى التنظيم. حراساتهم كانت داخل حدود القرية، في أرضها وتلالها وسهولها.

يقع بيتنا في منطقة نائية عن الكثافة السكانية، في منطقة الرملة شمال الطنطورة.

سرعان ما سقطت القرية وظهر الجنود في طرقات القرية. في هذه الأثناء كان الموت مصير كل من يُلقى القبض عليه من الرجال. وفي التجمع عند البحر صار الناس يتبادلون أخبار القتلى. سمعت أحد القادمين يقول لعبد اللطيف سويدان: أبو مقتول (سويدان عشماوي).

أحضر اليهود رشاشاً ثقيلاً (هوشكيز) ولقموه، ووجهوه إلى صدورنا، تشاهدنا

استقبالاً للموت شبه المؤكد. أخذوا مجموعات من الرجال، لم نعرف مصيرهم. بعد الخروج من الأسر فُجعنا بخيرة شباب الطنطورة (ما يقارب 200 شهيد).

في الأسر اجتمعنا بأبناء قرى فلسطينية أُخرى، كذلك بعدد من جنود وضباط الجيش المصري. في الصرفند حضر الصليب الأحمر وسمح لنا برسائل إلى ذوينا (25 كلمة فقط)، سلام وكلام. كان مدير السجن اسمه إلياهو جاء ومعه صورة، سأل عن أهل الطنطورة، رفع لطفي دسوقي يده. قال له إلياهو: تعرف هذه الصورة؟ ردّ لطفي نعم، هذه صورة يعقوب مختار زخرون يعقوف. قال إلياهو: لازم تبوسوا يديه لأنه شفع لكم، وإلاّ كان مصير كل أهل الطنطورة هو الموت.

بعد الإفراج عنا، عرفنا أن التخفيف عمن بقي حياً من أبناء الطنطورة حصل لأن عبد الله التل أخذ 300 أسير يهودي من كفار عتسيون قرب القدس. ومن أجل مبادلتهم بالعرب أوقف اليهود القتل. ولا أنكر أن مختار زخرون يعقوف كان رحيماً ولا يرغب بسفك الدماء. ■

يوسف سلام (أبو الشيخ)
مواليد 1924، مقيم بمخيم اليرموك

قبل أسبوع من الهجوم، استشهد أخي موسى سلام، وابن عم لي هو محمد طه سلام في كفر لام حين اقتحمها اليهود، تصادف وجودهما عند أقارب لنا هناك. وجرح أبي حين ذهب ليحضر جثتيهما.

استيقظت على صوت الرصاص، سألت عمتي، التي كانت تنام عندنا لتداوي جرح والدي، ما هذا؟ ردت عليّ هذا لعب وولدنة!

شاهدت دخولهم البلدة، ومع أن علماً أبيض رفع على مسجد القرية، إلاّ إن القتل استمر في شوارعها لكل رجل يظهر أمام الجنود.

في التجمع، ومع تحضير آخر مجموعة (40 رجلاً) للقتل، حضر مختار زخرون يعقوف، وبالعبرية حذر شمشون (قائد القوة التي دخلت إلى الطنطورة) من قتلهم. رد شمشون بأنه مزود بأمر من قائد لواء ألكسندروني بقتل الجميع.

غادر يعقوب وعاد بعد وقت قصير ومعه ورقة أعطاها لشمشون، ولم يقتل الرجال الأربعين.

شاهدت أكثر من 25 جثة، سوى تلك التي رأيتها في المقبرة الجماعية في أرض الدساقنة.

في أم خالد (القرية المهجورة التي حولوها إلى معتقل) حضر إلى هناك بعض

سـكان زخرون يعقوف، حاولوا إقناع الأشـكنازي (مسـؤول المعتقل) أن يخفف عنا العذاب والإهانة، لكنه طردهم ولم يستجب لهم.

من هناك هرب عارف سـلام ومحمد الملاح. عاقبونا جماعياً بعد فرارهما. نقلونا إلى جليل. وفي أحد الأيام هاجم جندي الأسـرى العزل وقتل عدداً منهم، أعرف اسـم أحدهم، يوسـف أبو عجاج. وتبيّن لنا أنه قام بعمله هذا انتقاماً للخسـائر التي أُلحقت بقواتهم على يد الجيش العراقي في معركة طيرة بني صعب.

في يوم آخر شعرنا بتوتر في المعتقل واستنفار بين الجنود، ثم اكتشفنا أن قوة من منظمة الإرغون حاولت احتلال المعسـكر وقتل كل الأسـرى العرب فيه. وحصـلت ملاسنات حامية على بوابة المعسكر بين الهاغاناه وأفراد الإرغون.

سمعت أن اليهود يأخذون الأسرى إلى العمل ويقتلون منهم، فقررت الهرب. ذهبت إلى قاووش الأسرى المصريين لأنه مطفأ الأنوار، ومعي أنور الفرحات وأحمد العموري، وشخص من قرية يازور، اعتمدت عليه لمعرفته بالطرقات هناك.

وقفنا قرب الشـبك المعدني (ثلاث طبقات، عمودي وأفقي وحلزوني). تراجع مَنْ معي. نزعت ثيابي، نفذت من الطبقة الأولى، في الثانية جرح صـدري ووجهي، تابعت حتى صرت خارج الشبك. لا أعرف الاتجاهات والطرقات، والطقس شتوي بارد. فبقيت ثلاثة أيام وأنا تائه حتى وصـلت إلى مكان أوقفني جنود بعد أن أنذروني. رفعت يدي وعرفتهم (عرب عراقيون) وكان معهم فلسـطيني تعرّف على بلدتي وما حصـل فيها. كان هذا في طيرة بني صعب. لمّا شاهدنا رجالها أنزف من صدري، ظنوا أنني أسير، هاجموني، لكن الضابط منعهم. لم يكن وضعنا مريحاً في المعسكر عند العراقيين (النوم والطعام واللباس) فقلت أمام الضابط العراقي بيتين من الشعر العامي:

يا حامية بغداد خللي لك وجدان نحن آسـرى بيكفي الظلم فينا

جينا حماك نحتمي شـبان من ظلم اليهود اللي جرى فينا

طلب الضـابط أن أعيد ما قلت. ففعلت. ولم يتضـايق بل كان حزيناً على الوضـع، وحاول تقديم المساعدة لي.■

محمد كامل الدسوقي
مواليد 1935، مقيم بمخيم الرمل (اللاذقية، سورية)

سمعت الناس يرددن اليهود هجموا.. اليهود هجموا، بعد دوي الانفجارات وصوت الرصاص. في الصباح، قبل شروق الشمس، شاهدت الزوارق تنزل الجنود عند موقع البرج شمال القرية. ومن هناك يتسلقون عليه ويهبطون إلى أطراف البلد.

أثناء نقل الجثث، سمعت جندياً يسأل شاباً يبكي وهو ينقل الجثث، لماذا تبكي؟ قال: قُتل اثنان من إخوتي. وهو نفسه قتل فيما بعد برصاص جندي يهودي بعد الانتهاء من جمع الجثث، وتوسل إليه قبل موته قائلاً له: هذه جثة أخي خليل، وتلك جثة أخي أحمد، ولم يبق لأمي سواي. فرد عليه القاتل: ولماذا حياتك؟ وأطلق عليه النار، واسمه مصطفى السلبود.

عند المقبرة، كانت سيارات فيها مدنيون يهود، بعضهم يصفق ويغني، وآخرون يصمتون تماماً.

أثناء وجودنا على شاطئ البحر، صعد عدد من اليهود (نساء ورجال) في قوارب صيد، وراحوا يعبّرون عن فرحهم بالغناء.

كان الضابط المسؤول (أبيض طويل القامة) يسأل ونحن في التجمع: أين المقاتلون السوريون؟ أنتم قاتلتم وحدكم؟

سلمونا (الأطفال والنساء) إلى مختار قرية الفريديس (إسماعيل برية). قدم لنا أبناؤها كل ما يستطيعون. ومن قرى جبع وإجزم وعين غزال كانت تأتينا مساعدات (غذاء وفراش).

بقينا حوالي شهر هناك. حضر يهودي مسن، يدعى أبو يوسف، جمع الصبيان الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و14 سنة، وأخذنا إلى الطنطورة لنقلع الثوم والبطاطا تحت حراسة عسكر يهود.

سألني جندي: أنت من الطنطورة؟ مَنْ تعرف من عائلة دسوقي؟ قلت له: أنا. تابع: هل تعرف أبو عقل؟ قلت: نعم، إنه خالي. وضع بندقيته جانباً، وسألني: أين هو؟ قلت: في الفريديس. بكى وقال لي: سلم عليه. أنا أعرفه، أنا ابن إبراهيم الحلاق، سائق قطار على خط حيفا – يافا، ووالدي صديقه. سألني عن أولاد خالي (أبو عقل). أخبرته أن سليم ونمر قد قتلا. حزن وشتم، ثم قال لي أنا أيضاً مات اثنان من إخوتي. وحضر فيما بعد لزيارة خالي في الفريديس.

والدي من الذين انسحبوا إلى عين غزال، سألت عن الطريق إليها. ذهبت مشياً حافي القدمين. وصلت وشاهدت والدي، وأخذني رجل من عين غزال يدعى الحاج حسن واشترى لي حذاء جديداً. ■

عبد الرزاق ناصر
مواليد 1931، مقيم بمخيم الرمل (اللاذقية، سورية)

ليلة الهجوم، كانت نوبتي في الحراسة في المنطقة الشمالية (موقع بئر جاموس)

قرب دبة العجرة. بدأ الرصاص من جنوب تلة أم راشد في الجنوب. ثم تبعه من الشمال على مقربة منا. في الساعة 2,30 صباحاً أنزل قطار مجموعات من الجنود تمركزوا أعلى من مواقعنا. وشرعوا بإطلاق النار الغزير على موقعنا وألقوا عدداً من القنابل. حاولنا الانسحاب ففقدنا اثنين من جماعتنا، وبقي محمد عوض وأنا. قررنا الانتقال إلى موقع آخر، انسحبنا إليه. هناك شاهدت اثنين من الشهداء، أتذكر الآن واحداً هو محمد شحادة. انسحبنا من هناك إلى الورشة على مقربة من موقع البرج، التقينا بعدد من الرجال أذكر منهم: حسونة سعيد سلام وهادي أبو غزالة وأبو صبحي عشماوي والحاج عبد الرحمن دسوقي وفايز الأيوب. صار عددنا كبيراً. كان الحاج دسوقي مصاباً في رأسه وسعيد سلام في كتفه، حاولت إسعافهما، وصلنا إلى مقربة من بيت شقيق الحاج دسوقي قرب المراح، فطلب منا أن نتركه ليدبر نفسه. وكانت الساعة حوالي السادسة والنصف صباحاً.

ذهبت إلى البيت، خبأت البندقية. سألت عن الناس، فعرفت أن تجمعهم في بيت عقاب اليحيى. جاء الجنود إلى البيت من الباب المواجه للبحر، والآخر الذي يفتح إلى داخل القرية، وأطلقوا الرصاص داخل الغرف وهم يصرخون: إطلع، إطلع.

في التجمع عند البحر، جاء الضابط شمشون وسأل عن محمد يونس الهندي. وضع المسدس في رأسه وطلب منه السلاح الموجود عند رجال القرية. اضطر يونس لذكر بعض الأسماء، ومنهم اسمي. أخذوني مقيداً بقميص لأحضر بندقيتي. في الطريق عند سكن بيت أبو صفية (عائلة لها عدة بيوت) شاهدت جثث عدد من القتلى. وفي العودة عن طريق المراح شاهدت جثث فضل أبو هنا وفوزي أبو زمق ومحمد عوض أبو إدريس. وفي شارع ضيق مقابل دكان الحلاق أبو جويد، كان خط من الدم بطول عشرين متراً وصولاً إلى ساحة صغيرة، شاهدت فيها أكثر من عشر جثث. ■

عبد الله سليم أبو شكر
مواليد 1931، مقيم بمدينة اللاذقية، سورية

تقع الطنطورة في السهل الساحلي، على بعد 30 كلم جنوبي غربي حيفا. المنطقة من حيفا لمسافة 30 – 35 كلم نحو الجنوب عربية صرفة، وفيها عدة قرى كبيرة. أرض الطنطورة تزيد مساحتها عن 12 ألف دونم، في منطقة خصبة وممطرة. وهي صالحة للزراعة أكثر من غيرها. المياه كثيرة ومجاريها وينابيعها قريبة.

في القرية كانت مدرسة للذكور تُعلِّم حتى الصف السابع، وأُخرى للإناث تُعلِّم حتى الصف السادس. فيها أيضاً مستوصف يزوره أطباء بالتناوب، وتعمل فيه

ممرضة مقيمة بشكل دائم اسمها ذهبية. كما كان عندنا ناد ثقافي اجتماعي رياضي. قبل الهجوم على القرية في 23 أيار/مايو 1948 طلب اليهود من أهل الطنطورة الاستسلام للأمر الواقع، والاعتراف بدولة إسرائيل والقبول بها، وتسليم السلاح. وكان مَنْ يقوم بهذه المهمة (الاتصال بأهل البلد) شخص عربي من قرية الفريديس، بتكليف من مختار زخرون يعقوف (أبو يوسف) الذي، بدوره، كان يتلقى التوجيهات في هذا الخصوص من القيادة العسكرية للهاغاناه. لكن الإرادة العامة للسكان أجمعت على الرفض.

بعد سقوط عكا وحيفا هاجر عدد من أهالي الطنطورة، عبر البحر، إلى لبنان للابتعاد موقتاً عن الخطر. وهم من النساء والأطفال وبعض المسنين. ثم توقف ذلك، وقرر الجميع البقاء ومواجهة المخبوء في الأيام اللاحقة.

لم تكن القرية تملك السلاح ولا التنظيم. ذهب والدي (سليم أبو شكر) ووديع الهندي إلى سورية، وقابلا الحاج أمين الحسيني ومعين الماضي، في شتورة وفي بيروت، وطلبا منهما السلاح. كان الرد أن "لا حول ولا قوة إلاّ بالله." ثم انتقلا إلى حلب وحماة، استطاعا هناك شراء عدد قليل من البنادق، ورشاش برن. واعتقد أهل القرية أن من واجبهم الصمود حتى وصول نجدات من الجيوش العربية.

قتل اليهود والدي في بيت جنوبي القرية [حادثة الشيخ والبنت ومطالبتهما مجموعة مستعصية بالاستسلام في مقابل أمن حياة أفرادها، وردت في رواية سابقة]. ولم نعرف مصير الرجال الذين كانوا في مواقع الحراسة، حتى وقت لاحق بعد الخروج من الأسر. ليس هناك إحصاء دقيق لعدد القتلى، لكن ليس أقل من 200 ضحية.

أخذوني مع عدد من الشبان إلى مقربة من دكان وأوقفونا بمواجهة حائط رافعي الأيدي وظهورنا إلى الخلف. لكنهم بعد وقت قصير أعادونا ولم يقتلونا. كان معنا على الحائط جودت شركس، شقيق زوجة الدكتور إحسان عباس ابن قرية عين غزال. ثم جمعونا، حوالي 400 رجل، ورحّلونا إلى المعتقل في أم خالد. عانينا الذل والإهانة في الأسر. وبعد الإفراج عنا التحقت بأهلي في سورية. ■

صابرة أبو هنا (أم زكريا)
مواليد 1933، مقيمة بمخيم الرمل (اللاذقية، سورية)

كنا سهرانين عند جارتنا أم خالد (حليمة أبو ناهية)، زوجة سعد الدين أبو الحسن. وكنا نروِّق ماء الصفوة (رماد الحطب) لاستخدامه في الغسيل. وفي الصباح كان علينا واجب الحصاد. حضر إلينا نمر الفرحات وسألنا: "ليش بعدكم هون، اليهود صاروا على

تلة أم راشـد." اتجهنا إلى وسـط البلد، عند بيت خالي سـعيد سـلام، بقينا هناك حتى السادسة صباحاً. في السابعة شاهدت يهودياً يقيد رجلاً من البلدة ويأخذه تحت قوة السلاح.

جدّي (محمود أبو هنا) "طخّوه" عند مصطبة البيت. عمي فضل أبو هنا ذبحوه بعد سقوط القرية ولفوه بحصيرة. عند البحر أخذوا من الحاجة عائشة، زوجة عيسى عبد العال، 12 إسوارة ذهب.

آمنة عوض أبو إدريس شاهدت جثة أخيها عند المقبرة، سبّلت له شعره، ثم قبلته وبكت.

الجثث التي شاهدتها في المقبرة، في الدفعة الأولى، أكثر من 50 جثة.

شاهدت في طريقنا إلى المقبرة أبو جودت السمرة يحمل ابنه القتل على السلم بدل النعش.

الذين ماتوا بعد الخروج من الطنطورة أكثر من 40، أكثرهم من الأطفال. فعلى الطريق بين الفريديس ومدن الضفة الغربية، طولكرم والخليل، كل ساعة نسمع أن ابن فلان مات. ودفنا في مغارة دير المسكوبية في الخليل أكثر من 20 جثة.

حضر شاعر القرية (يوسف سلام، أبو الشيخ) قبّل الأسرى لأنه نجح في الفرار. وألّف قصيدة يندب فيها حظنا وفجيعتنا. لا زلت أحتفظ أبياناً منها هي:

بادي باسم الله الواحد الديان آحكي تفاصيل عاللي جرى فينا
كنا سعداء يا ربعي بخير واطمئنان جاءت لنا آيام نحس صدقا تبكينا
إجانا بني صهيون بطوق من كل مكان حائط جميع البلد يسرى وميامينا
إجانا القائد شمشون القائد الخسران وقال بدنا سلاح البلد بالحال ياتينا

كنت أقول للناس إن ما جرى في الطنطورة لا يقل عن دير ياسين. لكن الجميع من أهالي فلسطين كانوا مشغولين بالذين بقوا أحياء، وصارت خسارة الوطن كله أغلى من خسارة الأرواح. ولم يذكر أحد مجزرة الطنطورة إلاّ مؤخراً. ■

يسرى أبو هنا
مواليد 1915، مقيمة بمخيم اليرموك

الساعة 12 ليلاً بدأ إطلاق النار. جاءت مدللة (اسم امرأة) عن طريق الزلف. قالت عيسى دسوقي جرح أو قتل. ذهبت سعاد الفلو ومعها ماء لتسقيه، أطلقوا عليها النار فقتلت.

إخوتي استشهد واحد منهم (فضل أبو هنا)، وجرح الآخر، فيصل، واختبأ في المتبن، اكتشفوه بسبب رائحة دخان السيجارة. وأرادوا قتله، لكن والدي كان على علاقة طيبة مع مختار زخرون يعقوف، فهو شغل وظيفة مختار الطنطورة لفترة. وكنا نعامل أبناء المستعمرة معاملة حسنة حين يحضرون للاستجمام على بحر الطنطورة.

حسن العموري شاب وحيد لأمه وكان عمرها 45 سنة لمّا حملت به. كان في أحد المواقع، وعدوه إذا استسلم سيسلم بروحه، لكنهم قتلوه بعد أن سلم سلاحه.

على البحر عند التجمع أخذوا منا كل شيء (أقلام وساعات وأساور ونقود وهويات وأوراق شخصية). في الطريق إلى التجمع، كان باب غرفة أحد البيوت مفتوحاً، وشاهدت في داخلها كومة من الجثث.

كيفما اتجهنا كنا نرى جثث القتلى جماعات وأفراداً، غير الذين دفنوا في المقبرة؛ أكثر من 50 قتيلاً. أكثر الذين قتلوا كانوا عزلاً في شوارع القرية أو بيوتها. وبعد سقوط القرية، أمام أنظارنا، أخذوا مجموعات من الرجال ولم يعد أحد منهم. الساعة 12 ظهراً توقف القتل بعد أمر خطي أحضره مختار زخرون يعقوف، فأنقذ الباقين، على الأقل كانت مجموعة من 40 رجلاً محضرة للموت. ■

عز الدين المصري
مواليد 1937، مقيم بمخيم اليرموك

ونحن في الفريديس، سمحوا لناب الذهاب لإحضار فراش ولباس البدن.

ذهبت وأوصتني أمي أن أحضر إذا استطعت ماكينة الخياطة الصغيرة، وقطع الذهب التي تعود لأمي وأختي، والمخبأة في الفراش. دخلت إلى البيت فوجدت كل الأغراض مكومة فوق بعضها في وسط الغرف، ولم أعثر على ماكينة الخياطة ولا على الذهب والحلي والنقود.

شاهدت عند سكة القطار في الطريق بين الطنطورة والفريديس جثتين، تعرفت عليهما (سليمان المصري وابنه أحمد). في تجمعنا بمدرسة في طولكرم، قبل انتقالنا إلى الخليل، جاءت طائرات إسرائيلية وقصفت المكان، وقتل من أبناء الطنطورة اثنان من أولاد يحيى العشماوي (بنت وشاب). ■

ورود سعيد سلام
مواليد 1937، مقيمة بمخيم اليرموك

كان يوم سبت ليلة أحد، كنا نائمين لمّا وقعت المعركة. نهضنا، صارت أمي تدعو

الله.

والدي كان مع المقاومة. وذهبنا إلى بيت فيه جمهرة من الناس. جاء العسكر وأخرجونا من البيت، ومروا بنا من أرض المراح. صرخت أمي على مشهد خالها القتيل (فضل أبو هنا). وجَّه اليهودي السلاح وهددها بالقتل.

حملنا معنا أغراضاً من البيت تعود لأمي حتى لا يسرقها اليهود وهي: قلم حبر ريشته ذهب وخاتم منقوش عليه اسم والدي وحلق وثمانية جنيهات. في التجمع عند البحر خبأتهم أمي في الرمل قبل التفتيش، وتركت علامة خاصة للمكان.

في الفريديس حضر يهودي من مستعمرة زخرون يعقوف، يعرف والدي من خلال العمل (أبي يوزع السمك، وعنده مطعم) وتعرّف علينا. أخبرته أمي عن مكان الأغراض التي خبأتها في الطنطورة، ذهب وأحضرها كما هي ولم يأخذ منها شيئاً. وأذكر أن اسمه لوليك.

عودة إلى المقبرة، في الطريق إليها، قالت أمي هذا سلمان الشيخ، وكان مقتولاً. وكدت أن أدوس عليه فشدتني أمي. في المقبرة شاهدنا أبي ينقل جثة الحاج عبد الدسوقي، ولم يوصله إلى المقبرة. تركه بين الصبّير خوفاً على نفسه لأنه كان جريحاً.

عند حائط أم فخرية شاهدنا حوالي 12 جثة من عائلة واحدة (أبو صفية).

لمّا سلمونا إلى لجنة في طولكرم، مشينا حفاة على الأسفلت، وكان حامياً جداً، فصرنا نقفز عليه كالعصافير. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf